التَمثُلاتْ المَلحَميةُ في رِسومِ حُسام عَبدُ المُحسُنْ

(دراسة تحليلية)

الباحث. قاسم هيشان جاسم/ جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة ، قسم الفنون التشكيلية

qasem.jassem2102m@cofarts.uobaghdad.edu.iq

أ.د.وسام مرقس / جامعة بغداد ،كلية الفنون الجميلة ، قسم الفنون التشكيلية

Wisam.marqus60@gmail.com

الملخص :

إنَّ الملاحظ والمتابع لحركة الفن التشكيلي العراقي ، يجد ان الكثير من المدارس والاساليب التي اتبعت كمنهج قائم، على وفق مراجع فكرية ، او تأريخيه، او ايدولوجية . منها ما يرتبط بأحداث تأريخيه ملحمية وظفت كمواضيع انسانية . تُجسد صراع ازلي بين قوى الخير والشر. وعليه فأن تلك المرجعيات والضواغط ادت الى انتاج خطاب فني تشكيلي يفي الى متطلبات التلقي . والتي قدمت ايضا على مَر العصور كملاحم ادبية شعرية، او قصصية بطولية .

الكلمات المفتاحية: (التَمثُلاتْ المَلحَميةُ، رِسومِ حُسام عَبدُ المُحسُنْ).

Epic representations in the drawings of Hossam Abdel Mohsen

(An analytical study)

qassim heshan jassim / University of Baghdad, College of Fine Arts, Department of Fine Arts

prof.Dr. Wisam marqus / University of Baghdad, College of Fine Arts, Department of Fine Arts

Abstract:

Anyone who observes and follows the Iraqi plastic art movement will find that many of the schools and methods that were followed as a curriculum are based on intellectual, historical or ideological references – some of which are linked to epic historical events

that were used as humanitarian themes. It embodies an eternal struggle between the forces of good and evil. Accordingly, these references and pressures led to the production of a fine artistic discourse that meets the requirements Receiving requirements. Which have also been presented throughout the ages as poetic literary epics.

Keywords: (epic representations, drawings by Hossam Abdel Mohsen).

الفصل الأول:

إنَّ مشكلة(التمثلات الملحمية في رسوم حسام عبد المحسن) ، تستوجب القراءة والبحث على مستوى الفكرة و الشكل والاسلوب. لقد عمل الفنان على مستويات عدةٍ ابتداء من استدعاء الاشكال وصولاً الى الموضوع والمحتوى . لكن هناك على مستوى الانجاز والفعل ،وهذا يستوجب القراءة و تسليط الضوء على تلك الاعمال .التي تُحدد ها الخصوصية ومديات التأثر بالموضوعات الملحمية ومن ثم تمثلاتها . لذلك فان المشكلة التي بصددها هذهِ الدراسة تؤشر الى تساؤلات منها :

اولاً : تَمثُلات الملحمة التي قدمها الفنان.

ثانياً :الاسلوب المتبع في تنفيذ تلك الاعمال.

تحديد المصطلحات:

١ . التَمثُل(Representation) :

التعريف اللغوي للتمثل :المثلٌ ،بالكسر والتحريك : الشَبهُ . و مَثل بهِ تَمثيلاً ،و امتَثلهُ وتمثلهُ بهِ. وتمثّل بالشيء : ضربهُ مثلاً .والأمثلُ : الافضلُ. ومثلهُ لهُ تمثيلاً : صَوّرهُ لهُ حتى كأنهُ ينظر اليهِ . وامِتثلهُ هو : تصورهُ .

التعريف الفلسفي للتمثل: "تمثل مثول الصور الذهنية بأشكالها المختلفة في عالم الوعي أو حلول بعضها محل بعضها الآخر". **التمثل:** "مثل الشيء بالشيء : سوّاه ، و شبّهه به ، وجعله على مثاله

، ومثل الشيء لفلان صوره لهُ بالكتابة أو غيرها، حتى كأنه ينظر اليهِ فالتمثيل اذن هو التصوير والتشبيه ، والفرق بينه وبين التشبيه ان كل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبه تمثيلاً".

التعريف الاصطلاحي للتمثل: "يقصد بالتمثل أو التصور مختلف الطرق التي بها تصبح الموضوعات الفكرية ماثلة من جديد أمام الفكر، ويقصد به أيضا الطرق التي يستحضر بها الفكر الموضوعات الخارجية حتى في حالة غيابها وعدم وجودها".

التعريف الإجرائي للتمثل :هو استحضار الصورة الذهنية وتمثيلها او تشبيهها بشكلٍ او هيئةٍ او رمزٍ ، كما انها لا تستوجب المطابقة الشكلية.

٢- الملحمة (epic):

الملحمة لغةً: ورد في لسان العرب : "الواقعة العظيمة القتل وقيل موضع القتال والحمت القوم اذا قتلتهم حتى صاروا لحما والحم الرجل الحاماً اذا شب في الحرب ولم يجد مخلصا ،وقيل من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها، والملحمة ذات القتل الشديد والواقعة العظيمة"

العريف الفلسفي للملحمة: "قصيدة قصصية طويلة موضوعها البطولة ، عمل ادبي يمجد جماعة ، بسرد مآثر بطل حقيقي او اسطوري ،تتجسد فيه المُثل".

التعريف الاصطلاحي للملحمة: الملحمة ١-"قصيدة قصصية طويلة ، موضوعها البطولة واسلوبها سامٍ. ٢- ذلك النوع من القصائد الطويلة الذي يهدف الى تمجيد مُثلٌ جماعية عظيمة (دينية او وطنية او إنسانيه) بسرد مآثر بطل حقيقي او اسطوري تتجسد فيهِ هذهِ المُثل". ايضاً تحدد على انها ، "في الفنون الادبية قصيدة سردية ،بطولية خارقة للمألوف، تعتمد بداً مخيلة غرائبية ، بخلقها عالماً اوسع واكبر من العالم المعروف، وتستند الى سرد احداث تمتزج فيها الاوصاف ، والشخصيات ،والحوارات ، والخطب ،والنصائح ".

التعريف الاجرائي للملحمة: يتبنى الباحث تعريف "الملحمة في معناها الاصيل و الدقيق هي القصيدة القصصية الطويلة التي تقص اعمال البطولة والتي تصدر في العادة عن بطل رئيس ،و تستخدم كلمة (ملحمي) للإشارة الى كل ما هو بطولي".

الفصل الثاني

١. الملاحم (Epic) ،البعد المفاهيمي:

عندما تُذكر كلمة **(ملحمة) (Epic)** للوهلة الاولى فأننا نتخيل ملحمة جلجامش ، وما يشابهها من هذا النوع الذي يشكل تاريخ الشعوب القديمة . فقد تختلط بعض الملاحم والاساطير او الحكايا والقصص ، وهذا يشكل انطباع وصورة ذهنية مخالفة تشكلت بشكل عفوي . لذلك يؤكد الباحث على التميز بين **الاسطورة والملحمة** و تجنب هذا الخلط بينهما. وبهذا الخصوص يرى طه باقر ان الملاحم "**بوجه عام تستند الى احداث تاريخية واقعية لكنها رويت بأسلوب روائي أدبي شعري ، كما ان ابطالها هم من البشر بالدرجة الاولى ، و ذلك على خلاف الاساطير التي اعتبرها مجرد نتاج الخيال الاسطوري الشاعري**" .ان الأدب الملحمي القديم يكشف لنا بداية تألق الفكر الانساني الذي توهج باختراع الكتابة وطرق التوثيق ومن قبلها الابداعات الفنية في الرسم والنحت والخزف والتي نطلق عليها اليوم (الفنون التشكيلية) .

تشكل النصوص الادبية والتي تمثل القصص، والقصص القصيرة، والملاحم التي تُعنى بالأبطال والبطولات موضوعا بارزاً في ادب حضارة وادي الرافدين ،وقد بلغ من النضج والكمال ما يؤهلهُ لان يقف وبفخر امام اهم الملاحم العالمية ؛ لما يملكهُ هذا الادب من الجاذبية والتأثير . اذ يُعتبر هذا النوع من الادب اقدم النماذج والنصوص في التاريخ الانساني على الاطلاق . وهذا ما يؤكدهُ كريمر بقوله: "**هناك من الاسباب القوية ما يحملنا على الاعتقاد بأن السومريون كانوا أول من ابتدع هذا النوع من الشعر المعروف بالملاحم** ". و تُعد الملحمة جنساً مهماً من الاجناس الادبية، اذ تتفرد ببنية فنية خاصة وهذا ما ينأى بها لتكون جنساً مستقلاً عن الاسطورة. ومع هذا

فهنالك من يخلط بين الملحمة والاسطورة بالرغم من ان الاسطورة تبحث في اصل الاشياء ويشترط ان يكون ابطالها من الالهة او انصاف الالهة بالإضافة الى جريان احدثها في زمن موغل القدم او ما يعرف بزمن الا زمن ، اما مكان حدوثها فغير محدد فهي تتحدث عن الكون بأسره . و"**تبدوا الملحمة مزيجاً من الاسطورة والحكاية الشعبية ، ويصعب على الباحثين تحديد تعريف او هوية خاصة بها** ".احياناً تختلط الملحمة والاسطورة من وجهة نظر البعض ، لأنها تصور لنا بعض الاحداث عن الابطال او صراع الآلهة .

تحتوي الملحمة على شكل من اشكال الأسطورة في نسيجها البنيوي ولكنها لا تتداخل مع الأسطورة بأي شكل من الاشكال فالملحمة شيء والأسطورة شيء آخر اذ " **تستند الملحمة فقط على الأسطورة. والمهم أنها تُشكل في الواقع أصل الملحمة والمهم هو أن هذا الارتكاز على الأسطورة هو جزء لا يتجزأ من شكل الملحمة، كالزمن المطلق . إن الخطاب الملحمي هو خطاب يتجلّى بالأسطورة** ". وهنالك فوارق جوهرية بين الأسطورة والملحمة اذ أن أبطال الأسطورة من الآلهة او انصاف الالهة، أما أبطال الملحمة فهم من البشر الطبيعيون."**ان شعر الملاحم ينص على ان الانسان هو الذي يقوم دون الآلهة بالدور الاول**" كما انها لا تختلف عن القصص والحكايا الشعبية التي تناقلتها الأجيال.

ان المفهوم الاكثر شيوعا للملحمةِ هو انها جنس ادبي يتكون من شِعر مطول يتحدث عن اعمال بطولية لفرد او جماعة كما تمتزج احداثها بالخيال احياناُ. "**هو الشعر الذي نظمت به الملاحم الطويلة والتي تظم روح البطولة والمعتقد والانسانية وتمجد شعبا ناضل في حربهِ وقادهُ ابطال اسطوريين**" . كما و تعتبر الملحمة فناً احتفائي بين العديد من الشعوب ، فالبطولات ليست حكراً على شعب ، فلكل شعب بطولاته وامجاده التي يتغنى بها .

وتعرف الملحمة على انها قصيدة قصصية طويلة محكمة السبك ويتوافر فيها عنصري التشويق و الحبكة ،،"**فإن الملحمة المقروءة يعتمد نجاحها على حبكتها الشعرية ، وعلى هو اختيارها**

الألفاظ المؤثرة" وتحتوي ايضاُ على وقائع حقيقية الى حد ما وعلى نحو يتناسب مع احداث حقيقة مستوحاة من الواقع ، وتركز على سيرة البطل في العادة مراعية الموضوع الذي يربط كل اطراف القصة او القصيدة "**ان الملحمة مرتبطة تاريخيا بطور بدائي في التطور الانساني ، بحقبة الابطال**". فقد نسجت قصص واحداث تختلط فيها المآثر والكبرياء والخيال والاعاجيب بالحقيقة والبطولة ، وهي نوع ادبي واقعي .

ويمكن النظر للملحمة على انها امتداد لقصص بطولية سالفة .حيث يكون فيها الزمن زمناً ماضياً **(زمناً مطلق)**، والابطال يكونون من الاسلاف العظماء ،"**ان عالم الملحمة هو عالم الماضي القومي البطولي عالم البدايات والقمم في التاريخ القومي اي عالم الاباء والاجداد عالم الاولين**" .فالملحمة لا تحمل سمةً اسطورية ، لكنها تستلزم الحقيقة التي تتسم بها الاساطير في تسطير بعض الأحداث التاريخية والشخصيات بالمبالغة والغرائبية.

٢. أنواع الملاحم (types of epics):

تشكلت الملاحم بشكل طبيعي كما تشكلت الاساطير والقصص والحكايا والخرافة بشكل أساسي على النقل الشفهي؛ نتيجة لصراع دائم بين قوى الخير والشهر . هذا القلق الوجودي الدائم منذ بدء الخليقة فلقد "**نشأة الملاحم منوطة بظروف بدائية**" ،اذ تنتقل الاحداث والقصص عبر الأجيال عن طريق الشعراء الغنائيين او منشدين متنقلين ،و رواة القصص والحكواتيين ومن ثم تُجمع .

وبرغم ان الملحمة تستقي مواضيعها من التاريخ فبالإمكان ان نميزها من مدى اهتمام الكاتب بصناعته وخلق نص ادبي ترتبط أحداثهُ منطقياً بأحداث محتملة الوقوع ، كما انها في نفس الوقت لا تعتبر احداث تاريخية كما يقدمها التاريخ ،اذ أن "**الملحمة وهي أشبه بالتاريخ الجمعي أو القومى تحكي طوراً تالياً للطور الأسطوري، وتؤكد مزايا الجماعة ومحامدها وأمجادها وأبطالها وتصور وقائعها مع غيرها ونزعاتها**" اذاً الملحمة توثق حدث بطولي واقعي وهذا جزء من

الاشتراطات التي تُمير الملحمة من غيرها. قسم الباحثين الملاحم في الغالب الى نوعين من الملاحم الى قسمين هما:

اولاً: (الملاحم الطبيعية الشعبية): وهذه الملاحم تظهر عادة في المراحل الأولى التي بدأة تتشكل فيها المجتمعات حيث تسيطر الاوهام والخرافات بشكل اسطوري على عقلية المجتمعات وهذا ما يدفعها لنسج هذا النوع من الملاحم . **(وسميت بالملاحم الشعبية أو الطبيعية ، لسبب ان مؤلفوهم إما غير معروفين تمامًا أو هم شخصيات غامضة)** بمعنى انها نتاج هذا الصراع الوجودي الذي يتشكل بفعل اللا وعي الجمعي.

ثانياً: (الملاحم التاريخية المصطنعة): التي تنتج خارج هذه الفترة او المرحلة الزمنية ، لتتشكل في مرحلة النضج العقلي الذي يزيح الخرافات و الأوهام والقوى الماورائية الوهمية . "**وفيها يضعف العنصر الخرافي، ويقوى جانب التاريخ، ومن هذا القبيل ملحمة (لافرانسياد) للأديب الفرنسي رونسار**". وهذا الجزء يشكل بفضل هذا النضج الذي نسج هذا النوع من الملاحم كما يشكل اهمية من ناحية الدراسة و البحث العلمي الأكاديمي .

وجدت الملحمة بشكلين او نوعين عند اغلب الشعوب سواء أكانت الملحمة (ادبية فصيحةً) ام (شعبية عامة)، كما تُعتبر الملاحم من أقدم أشكال القصص واكملها وأوفرها حظا . تشكلت الملاحم استجابة لنبض شعبي، كما انتهى النقاد في التفريق بين شكلين متمايزين من الأدب الملحمي الأول هو الذي نشأ عن فكر جمعي قبلي أو قومي ، كما في الملاحم الشعبية العربية. بحيث شكلتها روح الجماعة فهي (المتذوق والمنشئ) في نفس الان ،"**ويتسم الادب الشعبي فوق ذلك بأنه لا يكاد يفرق بين المنشئ و بين المنشد او المؤدي**" والنوع الثاني هو الذي ينتج عن شاعر او منشئ واحد ، يُعبر عن وجدانه لكن بروح الجماعة. اذ يطلق على النوع الاول بالملحمة الشعبية الاصلية والنوع الثاني الملحمة الادبية الفردية وهذا يكاد يكون متفق علية عند اغلب الباحثين

اولاً :الملاحم **(الشعبية أو الأصيلة)** وهذا الشكل من الملاحم يتشكل بصورة مقاطع صغيرة مفرقة ومن ثمُ تجمع لتشكل نبض الوجدان الجمعي ،أي انها تتشكل بفاعلية الفكر الجمعي .

ثانياُ :الملاحم **(الأدبية أو الفردية)** أما الشكل الثاني فهو مشابه للأول لكنه نتاج فردي أي انه يصدر عن اديب او شاعر محترف معبراً عن وجدانه الذاتي، لكنها تنسج لتعبر عن روح المجتمع وانفعالاته . **٣- الملاحم في الرسم العراقي المعاصر:**

تشير الاعمال الملحمية في الرسم العراقي المعاصر، الى نمط فكري خاص يستدعيه الفنان لخلق حوار جمالي بين الماضي والحاضر. كما ان المتغيرات والاحداث التي تستثير الفنان و تحرك

شكل(١)

شكل(٢)

عاطفتهِ وتفعل طاقة الخيال لديهِ ، تحفز استدعاء الصور الذهنية التي تُعتبر اولى الأدوات الفاعلة في بناء النص البصري . تبنى الكثير من الفنانين خطاباً جمالياً ملحمياً يُعبر عن هموم الإنسان متمثلة بالثورات والاحتجاجات والانتفاضات الشعبية، وكان (محمود صبري) اهم من مثلّ التوجه . حيث شكل خطابهُ البصري ، اعمالاً تسجل تمثلات ملحمية وبطولية مهمة مثل الثوار والشهداء . وتؤكد الاعمال "التي أنتجها في مطلع مسيرته الالتزام الثابت بالقضايا الاجتماعية والسياسية والنبرة الاحتجاجية على ممارسات الظلم والطغيان" .ان المنظومة التشكيلية العراقية المعاصرة تعتبر الفنان مجس الحياة الاجتماعية كما ان ابداعه رسائل تلامس الواقع ، بل تحاول ان تعيد انتاجه . كما نجده في اعمال (محمود صبري)،كما في عمله شكل(١). وشكل(٢).

كما سجلت اعمال عقد الخمسينيات، حياة الفلاحين وانتفاضاتهم، والمظاهرات الشعبية والصدامات الدامية مع السلطة . يتضح هذا في اعمال (صديق احمد) . كما في شكل (٣) . و(شاكر حسن) في (عمله ضحايا) كما في شكل(٤).

و (فائق حسن) في واقعياته الأكاديمية متمثلةً برسوم حياة البداوة والخيول والثوار ومنها عملهِ ، (التأميم) شكل(٥) .و عمل (نجيب يونس) الذي جسد احدى الثورات والبطولات الشعبية، شكل(٦). ومن الملاحم التي تنطبق عليها جملة من الخصائص والسمات .التي تميز الملحمة عن باقي انواع

شكل(٣)

شكل(٤)

الادب ملحمة (الطف). فقد ارتقت فيها الأحداث البطولية إلى مستوى الحدث (الميتافيزيقي).

شكل(٥)

شكل(٦)

(كما انها دونت فيما بعد على شكل قصيدة قصصية طويلة)*. الهمت هذهِ الواقعة الكثير من الفنانين التشكيلين لتكون جزء من الخطاب البصري المعاصر. فنجد ما قدمهُ (كاظم حيدر) في معرضهِ (ملحمة الشهيد) ، مشاهد ملحمية برؤية مختلفة امتازت بالتجريد والرمزية وتنوع التقنية ومبتعداً عن التشخيص. "الذي اخذ على عاتقهِ احداث متغيرات جسيمة وايجابية في بنية الرسم العراقي" .كما في الشكل(٧).و في اعمال(ماهود احمد) الذي اتخذ من المدونات الشعبية سياقاً واسلوباً يمنحها مرونة جمالية بفعلِ عامل التخيل كما في شكل (٨). ان"(ماهود أحمد) ليس من النوع الذي يخف مسرعا الى الموروث تحت طائل محاكاته بل يخضع رؤيته لمزيد من التكرير والحذق في اعادة انتاج النص التراثي بما يوصل هاجسه الدرامي والجمالي " .

شكل(٧)

شكل(٨)

لم تغب هذهِ الملحمة عن ذاكرة (مجيد الساعدي) اذ جسد تمثلاتها بأسلوب واقعي . لتسجل خصوصيتهِ في استدعاء الحدث، ابتداء من الاتجاه الى الأسلوب. كما في الشكل(٩).ايضاً قدم (عاصم عبد الامير) هذهِ الواقعة بأسلوب تعبيري خاص كما في شكل(١٠).

شك(٩)

شكل(١٠)

استطاع (الرسم العراقي المعاصر) ان يعيد انتاج هذا الحدث الواقعي والتاريخي متمثلاً بمعركة (الطف) التي استشهد فيها الإمام الحسين (عليه السلام) .فقد احتوت المشاهد ابعاداً اسطورية ملحمية . حرص الفنان العراقي منذ البدايات الأولى على تشييدها ببنية فنية وفكرية تتسم بطابع موجه "بحيث يتسنى لهم أن ينعتوه بأنه ذو طابع عراقي، ويرجع السبب الرئيس لذلك هو توجه بعض الفنانين إلى استلهام المفردات الحضارية، أي الموروث الحضاري، بحيث أنتج الفنان سطحا بصريا تولد عن مخاضات تمزج التراث والمعاصرة والحضارة الإسلامية والفلكلور الشعبي" .فقد جسدت الملحمة بتأثيرات من مرجعيات البيئة الاجتماعية والدينية .

حرص الفنان العراقي على استدعاء الموروث الحضاري والحدث الديني في تشكيل نصوص ملحمية مؤثرة . لقد شهد الفن العراقي في هذه الفترة تنوعاً في المعالجات البنائية ، فلم يعد الفنان العراقي يكتفي بتحليل الواقع ونقده بدلالات آنية مكشوفة ؛ بل بادر إلى خلق رموز خاصة به، لها دلالات مستقبلية تتجدد بتجدد الحدث و تبتعد عن محاكاة الواقع بأسلوب تعبري خاص. كما في

شكل(١١)

شكل(١٢)

عمل (صفاء السعدون) شكل(١١).وعمل (شوقي الموسوي) (رؤوس) ،(شكل)(١٢).

مثلت الملاحم الدينية صراع ازلي بين الخير و الشر ،ودون الكثير من الباحثين والكتاب هذهِ الملاحم . ان الإبداع الفني مسؤولية وجودية يتحملها الفنان من اجل غاية انسانية حضارية. "فإذا كان الخير من الجمال كما يقول الفلاسفة ، فأن صناعة الفنان عمل وجداني" .

٤- حسام عبد المحسن (التجربة والأسلوب)

تأثر(حسام عبد المحسن) في بداية مسيرته الفنية بالمدرسة الانطباعية من خلال التركيز على الألوان. وقد أشار " كنت ارسم الطبيعة على ضوء الانطباعية. كما تأثر(برينوار) بتأمله للطبيعة وموجوداتها وإدراكه للمفردات" محولا استعاراته وتصوراته عن الواقع على شكل جمالي." يعتبر (مونيه و رينوار) أحد أهم فناني الانطباعية"، وعليه فهو لا ينقل الواقع وفق ما هو موجود، إنما يسم بما يعرفه هو، مع خيال خصب .

كما تأثر(برامبرانت) من حيث الاعتماد مع مجموعة صغيرة من الألوان التي تهيمن على النص البصري من خلال الظل والضوء المنبعث من الخارج بشكل مسرحي .و(ديلا كروى). وصف (حسام عبد المحسن) قائلا :"(قمت بدراسة ونقل جميع لوحات (ديلا كروى ورامبرانت) حتى وصلت الى مرحلة التفوق والادراك العام للعمل الفني للتقنية والخامة و الألوان اثناء الرسم اضافة الى التعامل مع السطح الخشن والناعم و الكونتراست)". إلا أن اسلوبه الخاص واضحاً في جل اعماله ،فهو

شكل(١٣)

متجدد فاعل امتلك عدة وتقنية مكنتهُ من متلاك خاصية من للتحولات الحداثوية التي لحقت بطبيعة مُنجزه الجمالي .كما في عمله بورتريه للنحات (نداء كاظم) شكل (١٣).

اثرت الحرب العراقية الايرانية في الحياة العامة ، والتي شكلت الهاجس الاهم ،في حياة العراقيين . فقد جسد الكثير من الفنانين شكل الحرب وبشاعتها في اعمالهم ومنهم (حسام عبد المحسن) . اذ ان "من الصعب تقييم أعمال حسام عبد المحسن بمعزل عن تجليات الحرب في العراق ، فالفنان يمتلك طاقة أكاديمية متفردة فضلاً عن إحساسه العميق باللون الذي خبره طوال تجاربه " . وفي منتصف الثمانينات أطل الفنان بعدد من النصوص الفنية المهمة التي ساهمت بتحول أسلوبي مهم في تجربته الفنية، تصنف أسلوبياً بـ (التعبيرية الرمزية) ، ولعل عمله الفني (الشهيد)" كما في شكل (١٤)و شكل(١٥) .كان للأزمات الاجتماعية والإنسانية التي أوجدتها الحرب تأثيرا على ذات الفنان بوصفه مشارك فعلي في هذه الحرب، فثمة متغيرات في مفهوم الفن، واللوحة، فمن حيث المضمون ساهمت الحرب بخلق مضامين اجتماعية وسياسية جديدة و محايثة لهذا الواقع.

شكل (١٤)

شكل(١٥)

كما شهدت اعماله الملحمية(كواقعة الطف) التي تجسد الصراع الازلي بين الخير والشر ،الحق والباطل، والجمال والقبح . المتجسد في ظلم السلطة والتعسف والجور" لدراسة واقعة كربلاء وشهادة

الإمام الحسين لا بد من دراسة خلفيات تلك الواقعة ، وهذا يتطلب منا العودة إلى الوراء لنعرف مجريات الأحداث التي سبقت واقعة كربلاء ". استنطق (حسام عبد المحسن) واقعة الطف بشكل واقعي لكن بشكل مختلف تماما ، لم يظهر في منجزه اي شكل من اشكال الحرب العنيفة فلا دماء ولا حرائق ولا قتلى. (جسد عدة اعمال مثلت الواقعة والسبايا مقسمة الى عشرة بعدد الايام العشر التي شهدتها الواقعة). حددت مشاهد اعماله الملحمية طبيعة الموضوع عبر المنظومة الشكلية المكونة للمشهد .كما في الشكل (١٦) وشكل (١٧). فللضاغط الايدلوجيي والمجتمعي وجود حتمي في وجدان الفنان الانسان في تجسيد اشتغالاته ومنها ملحمة (الطف) .

شكل (١٦)

شكل (١٧)

الفصل الثالث

تحليل العينة :

انموذج رقم(١)

الفنان : حسام عبد المحسن

اسم العمل :الازفة / خيول العتمة

الخامة : زيت على قماش

قياس العمل :٥٠×٦٠

تأريخ المنجز :٢٠١٦

المسح البصري : سطح بصري مستطيل الشكل ، يمثل مشهد ليلي ، يغطي جزء اللوحة الايمن العلوي قليل من اللون الاسود ، يتداخل بشكل هارموني مع اللون الرمادي الداكن وتدرجاته . وبعض اللمسات من اللون البنفسجي ،مع قليل من اللون الازرق الكوبالت الفاتح. الارضية تحتوي كتلتين من الالوان جزء منها يمثل كتلة ضوء كبيرة مكونة من اللون الاوكر وقليل من الابيض وبعض اللمسات من البنفسجي وتدرجاته ،اما الكتلة الثانية فتتكون من منطقة الظل والتي هي عبارة عن اللون البنفسجي مع اللون البني وقليل من الاصفر الاوكر او الترابي .

يتكون عدد من الشخوص التي تملئ النص البصري، الخيول تتجهة من اليمين الى يسار اللوحة نسق من الرايات ملونة بلون الأحمر والبرتقالي والبنفسجي والاصفر والاسود ، ظهور واضح للرماح ،السيوف ، الطبول، المزامير، الدروع ، دلالة واضحة لبدء الحرب. بعض اللمسات البرتقالية والحمراء التي تدل على شعلات النار، موكدة ظلام المشهد. ايضا الوان برتقالية وسط المشهد لأضافة شيء من الدفئ الى النص البصري بسبب كثرة الالوان الباردة. ثلاثة فرسان يحملون الدروع والسيوف، فارسان بحجم اكبر واقرب الى المشاهد متقابلين احدهما يرفع سيفه كأنه يقول

خطابا تحفيزيا او شعرا وما الى ذلك كنوع من التعبئة النفسية لبداية معركة ،الفارس الثالث ابعد بقليل يتجه من اليسار الى اليمين ليلحق بالفارسين .

تحليل النص : نفذ العمل بمادة الزيت على القماش ، بتكوين ايقاعي افقي الانشاء التصويري مفتوح. جسد في هذا المنجز البصري الذي مثل جزء من ملحمة الطف .في مشهد ليلي مخيف ،والتي تعبر عن صراع الخير مع الشر، الحق مع الباطل ، صراع الانسان المستمر مع جور وظلم السلطة . مثلت هذه القضية أنموذجاً للصراع الطويل بين الحق والباطل الذي استمر بين كوكبة من الأنبياء والأوصياء والصالحين وكوكبة الباطل من الطواغيت والفراعنة ومن شاكلهم. احيطت هذه الملحمة بالأهمية وتعظيم الشأن الشيء الكبير من الأرض والسماء على حد سواء، فتواترت النصوص الشارحة لها والمبينة أهميتها وعظيم إحيائها .يتضح في هذا النص المشهد احتشاد جيش السلطة ،في محاولة لمنع وصول الامام الحسين مع اصحابه للوصول الى كربلاء وقبل التفاف الناس من حوله لنصرة الحق .

اهتم الفنان بالظل والضوء المنبعث من خارج اللوحة بشكل مسرحي وهذا يتضح في اسلوب الفنان بشكل دائم من خلال اسلوبه الواقعي في جل اعماله . لا يخلو عمل الفنان من المرجعيات الضاغطة ، فمن المؤكد خضوع الفنان لضواغط شتى تتحد كمرجعيات ضاغطة منها النفسية (السايكولوجية) في الجانب الوجداني والعاطفي، والاجتماعية (السيسيولوجيا) في الجانب الانساني والعقائدية (الايديولوجية) ايضا ومن المؤكد ان قارئ النص او المتلقي ، يقع تحت وطئة نفس الضواغط في قراءة المشهد البصري. حَددت مشاهد اعماله الملحمية طبيعة الموضوع عبر المنظومة الشكلية المكونة لوحدات المشهد، عبر اتسامها بالحشود المتراصة لبعض اجزاء المشاهد التي تطلبت من الفنان المنفذ للعمل رصفاً وترتيباً وسياقاً تكوينياً للخط واللون والمساحات والفضاء، حيث محاولا ان يحيلنا إلى التعرف على مكان وزمان الحادثة المصورة قدر الامكان ومحاولة المسك بزمام الفكرة واستنهاض اللاوعي للتعايش مع النص البصري وتفاصيله الشكلية

والمضامينية . فللضاغط الايدلوجيي والمجتمعي وجود حتمي في وجدان الفنان الانسان في تجسيد اشتغالاته ومنها ملحمة الطف .

انموذج (٢)

الفنان : حسام عبد المحسن

الموضوع : الوحشة

القياس : ٥٠×٧٠سم

الخامة : زيت على قماش

سنة الانجاز :٢٠١٢

العائدية : ارشيف الفنان الخاص

المسح البصري: سطح بصري مستطيل الشكل، يمكن وصف المشهد البصري المكون من وحدتين اساسيتين .الأولى تمثل نسق من الشخوص والخيول المتراصة تحتشد في الجانب الايسر من اللوحة متجه الى يمين المشهد . يمثل الفرسان وتتكون من اربعة خيول مع فرسانها بشكل مموه لتقدم انطباعاً عن وجود وحدة عسكرية . يلتحم نسق الخيول مع نسق اخر من الشخوص الذي يمثل نسق من الجنود بدلالة الات الحرب من عدةٍ وعدد. نسق متراص من الرماح تتجه الى الاعلى تلتقي بنسق اخر من الرايات .

اما الوحدة الثانية فهي التي تمثل مركز سيادة المشهد البصري وتتكون من فرس ابيض بلا فارس جُلل ظهرها بقطعة من القماش اخضر اللون، وزين وجهه بحلية تمتزج بلجام الفرس . مشهداً اشبه بوقت غروب الشمس ، تتضح السماء بشكل واضح وهي ملبدة بغيوم ملونة من عدة الوان وهي الاصفر الاوكر مع لمسات من اللون الاحمر والبرتقالي ،تأكيد واضح على الألوان المحايدة الاسود

والرمادي والابيض. مع بعض اللمسات من اللون السمائي المكون من لو الازرق الكوبالت مع الابيض ليكون هذا الفصل بين الغيوم وليدخل شيء من النور الى اجواء اللوحة.

تحليل النص: مشهد منفذ بمادة الزيت ، تكوين ايقاعي افقي، انشاء تصويري مفتوح.رتبت الشخوص بشكل نسقي للحصول إلى نمط متناسق متماسك . يؤدي إلى تكوين وحدة تشكيلية لها قيمة كبرى اكثر من مجرد تجميع للعناصر. من الملاحظ أن للمدرسة الواقعية طريقتها الخاصة في معالجة الموضوعات الإنشائية . في تكوين الإنشاء التصويري غالباً ما يحدد الفنان ملمحاً أو شكلاً أو هيئة واحدة لتكون مركز سيادة المشهد البصري لتبدوا كأنها اكثر أهمية من الأشكال الأخرى . ثم يقوم الفنان بتجميع بقية الأشكال حول الشخصية الرئيسية وإخضاعها لها. يقدم شكل الفرس الابيض المجلل باللون الاخضر كدلالة سيمائية توحي بالقدسية او الاهمية .

يتدفق الضوء من جهة واحدة بطريقة مسرحية ، يقدم انطباعاً واضحاً بمكرز سيادة المشهد البصري. كما ان التكرار القائم على أساس بناء نوع من التعاطف او الترابط بين مكونات المشهد البصري من خلال جعل بعض المكونات مجرد تكرار أقل أهمية لمكونات أخرى. من خلال تقديم بعض النتائج والاستمرار المنظم لعدد من الاشكال الاكثر والاقل تشابهاً. اذ ان هذا التتابع ذات اهمية طبيعة لموضوعة عدة الحرب . التي تم التأكيد عليها مثل نسق الرايات والرماح والشخوص البعيدة المموهة . لتكون عناصر مهمة في عملية املاء المشهد البصري ببعض الالوان الصريحة .

اسس الفنان الوان وشخوص اللوحة واجوائها بحرفية عالية، من حيث استخدام اللون الابيض والأخضر لتميز مركز السيادة المتمثل بالفرس الابيض في وسط اللوحة والذي يخلوا ظهر الفرس من فارسه. محاولاً تحقيق الوحدة في بناء الاشكال التي خضعت طبقا للانفعال العاطفي والوجداني والعقائدي ، مؤكداً بذلك محاولاتهِ الجادة والواضحة لإبراز المسحة العاطفية للحدث. عبر استخدامه للضوء والظل الى جانب تشكيل وإظهار عدة الحرب وأزيائها. اضافة الى ابتعاده عن تصوير ملامح مركز السيادة ليكتفي بالإشارة الى الفرس الأبيض لتأكيد غياب البطل.

ان خلو ظهر الفرس من فارسها ينم عن قصدية ودراية لتأكيد الحضور من خلال الغياب . كما ان حركة الفرس من خلال رفع الفرس احدى قائمتيها الامامية في الهواء وانحناء رأسه ، فيه دلالات خاصة توحي باستشهاد الفارس (البطل). ابتعد الفنان عن اظهار مشاهد الدم ومشاهد القتال عن قصد. يقدم النص البصري خطاب جمالي ملحمي استقراءي للمتلقي لتمييز الصراع الازلي بين الخير والشر والفصل بين المقدس والمدنس.

المرجعيات الضاغطة تمثل اهمية في عملية التشييد والبناء التشكيلي التي تمتلك خطابا ثقافيا بصريا جماليا خاصاً كما ان للضاغط التاريخي مرجعيات مهمة في بناء وتشييد هذا النص . يتبنى المشهد من خلال الوعي الجمعي واقعة الطف ، كحدث ملاحمي واقعي وحدث تاريخي مؤثر . من خلال استحضار رموز خاصة و دلالات تحاكي الاحداث الواقعية للتمثل الملحمي .

أنموذج : (٣)

الفنان : حسام عبد المحسن

الموضوع : سبايكر

القياس : ١٠٠×١٢٠ سم

الخامة : زيت على قماش

سنة الانجاز : ٢٠١٥ م

الوصف البصري : سطح بصري مستطيل الشكل ، يتكون المشهد من ثلاثة وحدات الجزء الأولى الوحدة الرئيسة وتمثل المرأة التي ترتدي عباءة نسائية سوداء . يظهر جزء من الوجه وهي تنظر بحدة وصرامة ،و تؤدي تحية عسكرية تتجه بأتجاه المتلقي . الجزء الثاني يتكون من فرس عربي بلون ابيض بعيد بشكل نسبي وهو في حالة حركة . الجزء الثالث يتكون من اشكال عدة مموهة وبعيدة نلاحظ فارس يمتطي جواده رايات كثيرة ملونة تملئ الافق ، عدد من الجِمال . المشهد العام مغبر ، دخان كثيف يتكون من الرمادي والاسود قليل

من الابيض في سماء المشهد .الارضية بلون اصفر اوكر يمتزج معه قليل من اللون الاسود ، الرايات بلون اسود واحمر وبنفسجي واصفر.

تحليل النص : نفذ العمل بمادة الزيت التكوين ايقاعي افقي ، انشاء تصويري مفتوح .يتأسس المشهد البصري على التمثيل الملحمي . يروي النص البصري حادثة (سبايكر) المشؤومة وما تبعها من انتفاضة وثورة شعبية ضد الهجمة الارهابية الرعناء التي حاولت النيل من تاريخ وحضارة البلاد ومقدساته . في هذا المشهد مثلت المرأة (الأم) وهي اولى لبناة بناء المجتمع . حيث ثارت مع ابناءها الشباب والشيوخ في الدفاع عن البلاد ضد التخلف والهمجية ، وهذا يتضح من خلال التحية التي تؤديها امام الجميع وفي ساحة المعركة .

اسس الفنان لمقاربة ملحمية فريدة تجمع بين الملحمية الواقعية التاريخية متمثلة بملحمة (الطف) ،وبين التهديد الارهابي المصطنع الذي اسهمت الكثير من الدول في صناعتهِ لمحاولة تدمير حاضر ومستقبل هذا البلد العظيم . فهنالك ملحمة بين ارهاب السلطة الجائرة ، وقيام الامام الحسين بثورة ضد الظلم والطغيان وتغيب الحق . وهنا ملحمة بين قوى الظلام والارهاب والفكر الوحشي الذي يحاول ان يمزق وحدة هذا الشعب . خطاب ملحمي واضح من خلال المشهد . الفرس العربي الابيض فيه دلالة على الاصالة والوفاء من الممكن ان يعبر الفنان به عن اصالة الشعب العراقي . الرايات الكثيرة والرماح والأجواء المغبرة والدخان دلالة على اشداد وطيس المعارك. عبر المشهد عن امتداد لقصص بطولية سالفة .حيث يكون فيها الزمن زمناً ماضياً ، والابطال يكونون من العظماء ،جسد الملحمة بشكل بطولي ومن ثم قاربها مع عالم البدايات والقمم في التاريخ اي عالم الابطال السابقين .مؤكداً على ان الملحمة لا تحمل سمةً اسطورية ، بل تستلزم الحقيقة التي تتسم بها الاساطير في تسطير بعض الأحداث التاريخية والشخصيات بالمبالغة والغرائبية.

الفصل الرابع

النتائج والاستنتاجات

١- لم تشهد الاعمال في كل من النماذج (١و٢و٣) تنوعا في الخامات اذ اكتفى الفنان بأ ستخدام نفس الخامة وهي الزيت والقماش. كما نلاحظ صغر احجام الاعمال كما في جميع النماذج.

٢- ان العينة المتمثلة بمجتمع البحث تحاكي التمثلات الملحمية لملحمة (الطف) ومقاربها مع احداث ملحمية معاصرة.

٣- تميل الشخوص في اعمال (حسام عبد المحسن) الى التبسيط وغياب الملامح، وتظهر بشكل مموه كما في النماذج ،(١و٢).

٤- تغلب السمة الواقعية على معظم اعمال (حسام عبد المحسن)، كما في النماذج ،(١و٢و٣).

٥- وضوح التمثلات الملحمية في جميع اعمال (حسام عبد المحسن) .

٦- استمد الفنان (حسام عبد المحسن) مرجعياته الفكرية والشكلية من الاحداث التاريخية الواقعية لإنتاج خطاب ملحمي واقعي .

٧- اسس الفنان لغياب البطل بشكل قصدي ؛ وذلك ينم عن دراية فهو يؤكد الحضور من خلال الغياب .

المصادر و المراجع:

الفيروزآبادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب ،القاموس المحيط ،دار الحديث ، القاهرة،٢٠٠٨.

مراد وهبة ، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة ،٢٠٠٧.

جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،ج١ ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت، ١٩٨٢.

سعيد جلال الدين ،معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ،دار الجنوب للنشر ،تونس،٢٠٠٤.

ابن منظور ،لسان العرب، مادة لحم ،ج١٣، دار صادر ،بيروت ،ط١، ٢٠٠٠.

علوش سعيد ،معجم المصطلحات الادبية المعاصرة،ط١ ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،١٩٨٥.

وجدي وهبة ، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب،ط٢،مكتبة لبنان ،بيروت ،١٩٨٤.

عبد النور جبور ، المعجم الادبي ،ط٢، دار العلم للملايين ،بيروت،١٩٨٤.

الماجدي خزعل ،بخور الآلهة ، الاهلية للنشر والتوزيع ،ط١،لبنان ،١٩٩٨.

طه باقر ،مقدمة في ادب العراق القديم ،دار الحرية للطباعة ،بغداد ،١٩٧٦ .

كريمر صموئيل نوح ،طين سومر الخالد ،نظرة في اقدم ادب عرفه الأنسان ،تر بشير فرنسيس، مجلة سومر، ج١٩٤٧،٢

الماجدي خزعل ، بخور الالهة ،الاهلية للنشر والتوزيع ،ط١،لبنان ،١٩٩٨.

التونجي محمد ،المعجم المفصل في الادب ،دار الكتب العلمية ،ج٢ ،ط٢،بيروت،١٩٩٣.

ابراهيم نبيلة ، بين الملحمة الادبية وملحمة الوقائع الحقيقية، المجلة،مصر،العدد١،٣ مارس ١٩٥٧.

غيورغ لوكاش، الرواية التاريخية، تر صالح جواد الكاظم ،ط١ ، مشورات الجمل ،بغداد ،٢٠٢١.

باختين ميخائيل ، الملحمة والرواية ، معهد الانماء العربي ،تر جمال شحيد ،ط١ ،بيروت ،١٩٨٢.

الطباع عمر فاروق ،فنون الشعر العربي ،دار القلم ،بيروت ،ط١ ،١٩٩٢.

يونس عبد الحميد ،دفاع عن الفولكلور ،الهيئة العامة المصرية للكتاب ،القاهرة،١٩٧٣.

ابراهيم نبيلة ، بين الملحمة الادبية وملحمة الوقائع الحقيقية، المجلة،مصر،العدد١،٣ مارس ١٩٥٧.

الفريد، اتش، اوفام، الأشكال النموذجية للأدب الإنجليزي، جامعة اكسفورد، إرسيتي، لندن، تورنتو، ملبورن، ١٩٢٧.

العزاوي ضياء ،تحولات محمود صبري ومأزق واقعية الكم ،ماكو،العدد٢،حزيران،العراق،٢٠٢١.

فاروق اوهان ،الابعاد الدرامية في السير الملحمية الدينية، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ،٢٠٠٦.

عاصم عبد الامير، الرسم العراقي حداثة تكييف،.

العيداني شاكر حسين ،بنية النص البصري بين الهوية واسلوب التفرد في الرسم العراقي المعاصر ،نماذج مختارة، المجلة الاردنية للفنون ،العدد ١، ٢/١٥،العراق،٢٠٢٢.

عفيف بهنسي ،الثورة والفن ،وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة السلسة الفنية،بغداد،١٩٧٣.

الان باونيس، الفن الاوربي الحديث ،تر فخري خليل ،دار المأمون للترجمة والنشر ،بغداد،١٩٩٠.

بلاسم محمد، عزلة الفن في الثقافة العراقية، جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين، ٢٠٢١.

مرتضى فرج، خلفيات واقعة كربلاء وشهادة الامام، مؤسسة الانتشار العربي،بيروت،٢٠١١.

عاصم عبد الامير ،الرسم العراقي حداثة تكييف ،دار الشؤون الثقافية العامة ،ط١،بغداد ،٢٠٠٤.

نجم حيدر، خيال وابتكار، جامعة بغداد ،كلية الفنون الجميلة، قسم الفنون التشكيلية،ج١ ،١٩٩٩ .